ISSUE 4 August 2025
مجلـــة آفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية
كلية الآداب والعلوم الإبيار - جامعة بنغازي
Afaq Journal for Human and Applied Studies
Faculty of Arts and Sciences ALAbyar University of Benghazi
العـــدد الرابع أغسطس 2025 E-ISSN 3007-4495 ISSN-L 3007-4495 Legal Deposit Number 313/2023 DOI https://doi.org/10.37376/ajhas.vi4

مقاومةُ طرابلسَ للحكمِ الونداليّ (ثورةُ الجمالةِ نموذجاً)

أ. زكية عبد السلام عاشور الراجي [1]

تاريخ الاستلام: 29/07/2025م | تاريخ القبول: 04/08/2025م | تاريخ النشر: 13/09/2025م | DOI: https://doi.org/10.37376/ajhas.vi4.xxx

الملخص:

يتناول هذا البحث مقاومة طرابلس للحكم الوندالي، مع التركيز على ثورة الجمالة نموذجًا بارزًا لهذه المقاومة، يهدف البحث إلى تسليط الضوء على الأسباب والدوافع التي أدت إلى اندلاع الثورة، وكيفية تنظيمها وتخطيطها، وأهم المعارك التي خاضها الثوار، بالإضافة إلى تحليل نتائجها وتأثيراتها على الوجود الوندالي في المنطقة، يعتمد المنهج التاريخي التحليلي في استعراض الأحداث وتفسيرها، مستندًا إلى المصادر الأولية والثانوية المتاحة.

تشمل أهم المحتويات دراسة الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في طرابلس تحت الحكم الوندالي، وتحليل شخصية كاباون ودوره القيادي، والأحداث التي سبقت الثورة وأثنائها، وصولاً إلى تداعياتها، من أهم النتائج التي توصل إليها البحث أن ثورة الجمالة لم تكن مجرد تمرد عابر، بل كانت تعبيرًا عن رفض شعبي عميق للظلم الوندالي، وأسهمت في إضعاف قبضتهم على المنطقة؛ مما مهد لاحقًا لانتهاء حكمهم في شمال أفريقيا.

الكلمات المفتاحية: طرابلس، حكم الوندال، ثورة الجمالة، مقاومة، تاريخ ليبيا.

1. أستاذ مساعد بقسم التاريخ كلية الآداب- جامعة بنغازي- ليبيا.

المؤلف الرئيسي: أ.زكية الراجي، Za_alr2008@yahoo.com

ISSUE 4 AUGUST 2025
مجلـــة آفاق للدراسات الإنسانية والتطبيقية
كلية الآداب والعلوم الإبيار - جامعة بنغازي
Afaq Journal for Human and Applied Studies
Faculty of Arts and Sciences ALAbyar University of Benghazi
العـــدد الرابع أغسطس 2025 E-ISSN 3007-4495 ISSN-L 3007-4495 Legal Deposit Number 313/2023 DOI https://doi.org/10.37376/ajhas.vi4

Tripoli's resistance to Vandal rule (the Camel Revolt as an example)

* [1] A. Zakia Abdul Salam Ashour Al Rajhi

Abstract:

This research examines Tripoli's resistance to Vandal rule, focusing on the Jamala Revolt as a prominent example of this opposition. The study aims to elucidate the causes and motivations behind the revolt, its organization and planning, the key battles fought by the rebels, and an analysis of its outcomes and impacts on the Vandal presence in the region. The research employs a historical-analytical methodology to review and interpret events, relying on available primary and secondary sources.

Key contents include an examination of the socio-economic and political conditions in Tripoli under Vandal rule, an analysis of "Jamala's" character and leadership role, and the progression of events leading up to and during the revolt, as well as its aftermath. Among the most significant findings is that the Jamala Revolt was not merely a fleeting rebellion but a profound expression of popular rejection of Vandal oppression. It contributed to weakening their grip on the region, thus paving the way for the eventual end of their rule in North Africa..

Keywords: Tripoli, Vandal rule, Jamala Revolt, resistance, Libyan history.

1. Assistant Professor, Department of History, Faculty of Arts, University of Benghazi, Libya
* corresponding author: **A. Zakia Al Rajhi, Za_alr2008@yahoo.com.**

Copyright©C2024University of Benghazi.
This.open.Access.article.is Distributed under a CC BY-NC-ND 4.0 licens.

المقدمة:

تُعدّ حقبة حكم الوندال لشمال أفريقيا فصلًا بالغ الأهمية في تاريخ المنطقة، فقد شهدت هذه الفترة تحولات جذرية على الصعد السياسية، الاقتصادية، والدينية. لم يكن مجرد احتلال عابر، بل كانت فترة صاغت ملامح الشمال الأفريقي لما بعدها، وشكلت فيها مقاومة السكان الأصليين عاملًا حاسمًا في تحديد مصير الغزاة، يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على هذه المقاومة، وتقديم قراءة متعمقة لثورة الجمالة في طرابلس نموذجًا يجسد صلابة الإرادة المحلية في مواجهة القوى الأجنبية.

تنبع أهمية هذا البحث من عدة جوانب:

أولًا: يسد البحث فجوة في المكتبة العربية المتعلقة بتاريخ شمال أفريقيا خلال الفترة الوندالية، مركزًا على دور المقاومة المحلية، وهو جانب غالبًا ما يغيب في السرديات التي تركز على تاريخ الغزاة.

ثانيًا: يقدم نموذجًا فريدًا للمقاومة الشعبية التي اعتمدت على تكتيكات مبتكرة؛ مما يثري فهمنا للاستراتيجيات العسكرية غير التقليدية في العصور القديمة.

ثالثًا: يسلط الضوء على تداعيات السياسات الاستبدادية والاضطهاد الديني على استقرار الدول، ويبرز كيف أن إهمال حقوق ومشاعر السكان الأصليين يؤدي إلى ثورات حتمية.

أخيرًا: يسهم البحث في إبراز الدور المحوري الذي لعبته قبائل طرابلس، وتحديدًا قبيلتي لواتة وهوارة، في الحفاظ على هويتها ومقاومة التبعية.

لقد وقع الاختيار على هذا الموضوع لأسباب شخصية وأكاديمية، حيث يمثل تاريخ شمال أفريقيا بشكل عام وتاريخ طرابلس بشكل خاص، محط اهتمام بالغ للباحث، كما أن قصة ثورة الجمالة وتكتيكاتها الفريدة تشكل جانبًا شيقًا يستحق الدراسة والتحليل المعمق لإبراز جوانب العبقرية العسكرية والشجاعة في مواجهة الظلم.

تتمحور مشكلة البحث حول التساؤل الآتي: كيف أسهمت طبيعة الحكم الوندالي وسياساته القمعية في شمال أفريقيا، وخاصة في طرابلس في إثارة ثورات القبائل المحلية؟ وما الأسباب والتكتيكات التي أدت إلى نجاح «ثورة الجمالة» في إضعاف الحكم الوندالي وتحدي سيطرته؟

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

-التعريف بنشأة الوندال ومسار هجرتهم إلى شمال أفريقيا، وتوضيح كيفية تأسيسهم لمملكتهم.

-تحليل سياسات الحكم الوندالي، الاقتصادية والدينية، وأثرها على الأرستقراطية الرومانية والكنيسة الكاثوليكية والسكان المحليين.

-دراسة أسباب نشأة ثورة الجمالة ودوافعها في طرابلس ودور القبائل المحلية فيها.

-تحليل التكتيكات العسكرية والنفسية التي اتبعها القائد كاباون في مواجهة الوندال، مع التركيز على دور الإبل في المعارك.

-تقييم مدى تأثير هذه الثورة على ضعف الحكم الوندالي وانهياره في شمال أفريقيا.

-يعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي التحليلي الذي يرتكز على جمع المعلومات من المصادر التاريخية الأولية والثانوية، من ثَمّ تحليلها ونقدها لاستخلاص النتائج، ذلك من خلال:

-استقراء الروايات التاريخية المتاحة، وخاصة كتابات المؤرخ بروكوبيوس وغيره من المؤرخين اللاتين واليونانيين.

-تحليل الوثائق والنقوش الأثرية ذات الصلة بفترة حكم الوندال.

-ربط الأحداث التاريخية بالظروف الاجتماعية، الاقتصادية، والدينية السائدة في تلك الفترة.

-مقارنة الروايات المختلفة لتكوين صورة شاملة ومتوازنة للأحداث.

تناولت العديد من الدراسات تاريخ الوندال في شمال أفريقيا من زوايا مختلفة. فبعضها ركز على الجوانب العسكرية والغزوات، مثل دراسات بروكوبيوس Procopius (القرن السادس الميلادي) التي تُعد مصدرًا أساسيًا للمعلومات عن الوندال وحروبهم. كما تناولت دراسات أخرى، مثل أعمال المؤرخ الفرنسي ستيفان جزيل Stéphane Gsell ، وأنطوان ميريغي Antoin Merighi السياسات الوندالية الاقتصادية والدينية، وفيما يخص المقاومة المحلية، هناك إشارات متفرقة في هذه المصادر، لكنها لا تقدم تحليلًا معمقًا لثورات محددة مثل ثورة الجمالة، بعض الأعمال الحديثة، مثل Mattingly و Modéran، تطرقت إلى دور القبائل المحلية والإبل في المقاومة، لكن البحث الحالي يسعى إلى تجميع هذه الخيوط وتحليلها بشكل أكثر تفصيلًا وتركيزًا على ثورة الجمالة نموذجًا متكاملًا، مع الاستفادة من رؤى الباحثين المعاصرين مثل Haynes وMerrills وZolotukhina وPottier.

سيتم تقسيم هذا البحث إلى أربعة مباحث رئيسة، يسبقها مقدمة وتتبعها خاتمة ونتائج، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول نشأة الوندال ومسار هجرتهم إلى شمال أفريقيا:

1- التعريف بالوندال.

2- صراع القادة الرومان ودور بونيفاس في دخول الوندال لشمال أفريقيا:

المبحث الثاني: ترسيخ الحكم الوندالي وسياساته في شمال أفريقيا:

1- سياسة جنسيريك لترسيخ حكم الوندال في شمال أفريقيا.

2-سياسة الوندال القمعية: اضطهاد الأرستقراطية والكنيسة الكاثوليكية.

المبحث الثالث: ثورة الجمالة:

1- تداعيات السيطرة الوندالية على طرابلس: ضعف دفاعي وتصاعد التمردات المحلية.

2-دور الجمال (الإبل) في حروب قبيلة الواتة ضد الوندال.

المبحث الرابع: إستراتيجية كاباون وفن قيادة الصراع ضد الوندال:

1-الحرب النفسية والدينية ما قبل المعركة.

2- تكتيك كاباون الميداني(خطة استراتيجية في مواجهة الوندال).

المبحث الأول نشأة الوندال ومسار هجرتهم إلى شمال أفريقيا

1- التعريف بالوندال:

الوندال Vandals إحدى القبائل الجرمانية الشرقية التي هاجرت من مناطقها الأصلية قرب بحر البلطيق قبل تحرك قبائل القوط. (الخطيب، 2013م، ص 135)، وعاشوا في إسكاندرزا أو إسكندنافيا وهناك أخضعوا للحكم القوطي.((JORDANES, 1915, p57 وذكر المؤرخون اللاتين اسم هذه القبيلة بأشكال متعددة مثل : Van-Vandali-Vanduli-Vandilu-dili ، بينما أشار إليهم المؤرخون اليونانيون بلفظتي: Bandiloi - Bandeloi، ويعتقد أن أصل كلمة الوندال مشتق من الفعل الألماني Wendeln الذي يعني يتجول أو يرحل.(طرخان، 1963م، ص91-90)

ينقسم الوندال إلى فرعين رئيسين: الأسديون (Asdingi) والسيليون (Silingae). الفرع الأسدي هو الأهم بالنسبة لنا، إذ ينتمي إليه الملك جيزيريك(477-428م) مؤسس دولة الوندال في شمال أفريقيا، كما أن المجموعة التي قادها واستقرت في شمال أفريقيا كانت من هذا الفرع تحديدًا. (طرخان، 1963م، ص91)

في أوائل القرن الخامس الميلادي، تحديدًا قبيل عام 423م، دفعت الظروف السيئة والمجاعة قبائل الوندال لمغادرة بحيرة مايوتيس (بحر آزوف) والتوجه غربًا، تحالفوا مع الآلان في بانونيا قرب نهر الراين، ثم قادهم الملك جوديجيسكلوس إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، استقر الوندال في إسبانيا، التي كانت أولى الأراضي الرومانية على المحيط، هنا أبرم الإمبراطور هونوريوس اتفاقًا مع جوديجيسكلوس يسمح لهم بالاستقرار شرط ألا يضر ذلك بالأراضي الرومانية،ولمنع الاستحواذ على الممتلكات الرومانية، أصدر هونوريوس تشريعًا ينص على أن أي فترة يقضيها الوندال في الأراضي الرومانية لن تحتسب ضمن فترة التقادم الروماني البالغة ثلاثين عامًا، مبطلًا بذلك أي محاولة لتشريع حيازتهم للأرض بمرور الزمن.(Procopius, 1916,p27) (Jordanes, 1915, p96)

2- صراع القادة الرومان ودور بونيفاس في دخول الوندال لشمال أفريقيا:

وفقًا للمؤرخ بروكوبيوس شهدت الإمبراطورية الرومانية الغربية صراعًا داخليًا محتدمًا بين القائدين البارزين أيتيوس وبونيفاس، اللذين وُصفا بـ»آخر الرومان» لامتلاكهما كافة الصفات الممتازة، بدأ هذا الصراع بدسيسة من أيتيوس ضد بونيفاس، القائد العام في شمال أفريقيا، لدى الإمبراطورة بلاسيديا. زعم أيتيوس أن بونيفاس يخطط للانفصال بشمال أفريقيا، وأنه لن يعود إلى روما إذا استُدعي. وبالفعل، استدعت بلاسيديا بونيفاس، لكن أيتيوس كان قد كتب سرًا إلى بونيفاس يحذره من مؤامرة ضده؛ مما دفع بونيفاس إلى عصيان أمر

الاستدعاء، أمام هذا الموقف، ولإدراكه خطورة وضعه في روما، سعى بونيفاس إلى عقد تحالف دفاعي مع الوندال، الذين كانوا قد استقروا في إسبانيا بعد وفاة قائدهم جوديجيسكلوس وتولى ابناه غونثاريس و جنسيريك القيادة، اتفق بونيفاس مع ابني جوديجيسكلوس على تقسيم شمال أفريقيا وتقديم الدعم المتبادل ضد أي عدو، بناءً على هذا الاتفاق، عبر الوندال مضيق جاديرا إلى ليبيا، بينما استقر القوط الغربيون في إسبانيا، لكن سرعان ما اكتشف أصدقاء بونيفاس في روما حقيقة خداع أيتيوس بعد لقائهم ببونيفاس ورؤية رسالة أيتيوس التحذيرية عادت الوفود إلى روما وأخبرت بلاسيديا بالحقيقة، التي رغم صدمتها لم تعاقب أيتيوس بسبب نفوذه وسوء أوضاع الإمبراطورية، ومع ذلك حثت بلاسيديا أصدقاء بونيفاس على إقناعه بالعودة لوطنه وعدم السماح بسقوط الإمبراطورية في أيدي البرابرة. ندم بونيفاس على تحالفه مع الوندال وسعى لإقناعهم بمغادرة شمال أفريقيا، وعندما رفض الوندال اضطر للقتال ضدهم وهُزم وعاد إلى روما. (Procopius, 1916, p27,29,31,33)، ففي عام 428م بعد حوالي عام من حكمه عبر جنسيريك إلى شمال أفريقيا مع جميع قواته التي قدرت بنحو 80 ألف شخص، منهم 30ألفا قادرون على حمل السلاح، وفي عام 430م شكلت هزيمة بونيفاس وتخليه عن أفريقيا كما ذكرنا سابقا إلى بداية حكم الوندال في شمال أفريقيا.(Haynes, 1981, p.61) (Merighi, 1940, p292)

عندما وصل الوندال إلى شمال أفريقيا، كانت هذه المنطقة رغم التدهور الذي عم العالم الروماني، تُعد الأقل تضرراً والأكثر ازدهاراً بين مقاطعات الإمبراطورية وصفها أحد الأمراء الرومان بأنها «أفضل جزء في إمبراطوريته»، وأشار إليها كاتب مسيحي بأنها «روح الدولة»، بينما اعتبرها آخر «زينة الأرض كلها".(GSELL, 1903, p 125)

المبحث الثاني: ترسيخ الحكم الوندالي وسياساته في شمال أفريقيا

1- سياسة جنسيريك لترسيخ حكم الوندال في شمال أفريقيا:

بعد انتصار جنسيريك على أسبار وبونيفاس، أظهر بعدَ نظرٍ سياسيًا لضمان استقرار مملكة الوندال في شمال أفريقيا إدراكًا منه لتقلبات القدر ومخاطر مواجهة جيوش رومانية وبيزنطية قوية مجددًا، لم يكتفِ بانتصاره. بدلاً من ذلك، عقد جنسيريك معاهدة سلام مع الإمبراطور الروماني فالنتينيان الثالث(455-425م) سنة 442م نصت المعاهدة على دفع جزية سنوية من ليبيا لروما، وسلم جنسيريك ابنه هونوريك كرهينة لضمان التزام الاتفاق. هذا التحرك الذكي لم يؤمّن سيطرة الوندال على ليبيا فحسب، بل أدى إلى زيادة الصداقة بين الشعبين، مما سمح لجنسيريك باستعادة ابنه لاحقً(Procopius, 1916, p37,39)(Merrills,2004, P4)

وبالنسبة لمنطقة المدن الثلاثة لبدة (liptis)وصبراته Sabrata واويا(Oea) فإن الوندال لم يعلقوا عليها أهمية اقتصادية أو إستراتيجية كبرى، وهم في الواقع لم يحتلوها فعلا إلا حوالي سنة 455 م عندما جهزوا جيشا كان فيه كثير من النوميديين واستولوا على طرابلس ، حتى بعد هذا التاريخ فإن احتلال الوندال لمنطقة المدن الثلاثة

كان احتلالًا غير مباشر، ويجدر بنا في هذا الصدد أن نشير إلى أن الوندال لم يخلفوا لنا ما يدل على احتلالهم للبدة سوى عدد من قطع النقود وجدت في سوق المدينة، وفيما عدا إقامة حرس قليل العدد في لبدة فلا يبدو أن الوندال بذلوا أية محاولة لإعادة تنظيم الدفاع عن هذه المنطقة.((البرغوثي،1971م، ص330-329) (Haynes, 1981, p.61) ((Merighi, 1940, p293-294

حاول جنسيريك في بداية حكمه كسب ولاء القبائل البربرية من خلال إشراكهم في حملاته العسكرية وعمليات النهب. وقد رافق البربر الوندال في غاراتهم البحرية عبر المتوسط، وحصلوا على نصيبهم من الغنائم، كما حدث في نهب روما عام 455م ((Hinds, 2010, p60).(Gsell, 1903, p 130))

لكن هذا التحالف لم يدم طويلاً مع ضعف سلطة الملوك الوندال وتوقف الحملات البحرية، انقلب البربر على المقاطعات الأفريقية التي أصبحت فريسة أسهل لهم، يرجع هذا التحول جزئيًا إلى إهمال الوندال المتعمد للحفاظ على التنظيم العسكري الروماني الذي كان يحمي الحدود سابقًا، فبسبب خوفهم من إنزال قوات إمبراطورية أو اندلاع ثورات داخلية، عمد الوندال إلى هدم أسوار جميع المدن الرومانية تقريبًا؛ مما ترك المناطق الساحلية والداخلية مكشوفة أمام الغزوات (GSELL, 1903, p 130)

فهدمت أسوار لبدة وصبراته وربما أويا تنفيذا لسياسة جنسيريك التي تهدف إلى هدم جميع التحصينات للحيلولة دون استفادة القبائل المحلية منها في حالة قيامها بثورة على الحكم الوندالي.

(عماد،2018م، ص268-269) (Merighi, 1940, p293-294) (Haynes, 1981, p.61)بطبيعة الحال أدى هذا التدهور الدفاعي وهدم الأسوار إلى جعل المنطقة بالكامل فريسة سهلة للغارات والغزوات من قبل القبائل المحلية التي كانت تنشط في طرابلس وغيرها كلما شعرت بضعف السلطة المركزية.

فتمكن السكان الأصليون بسهولة من السيطرة على جزء كبير من موريتانيا كما نزل سكان جبال الأوراس إلى سهول نوميديا، ودمروا المدن الرومانية المزدهرة سابقًا، مثل تيفست (Theveste)، باغاي (Bagai)، تاموغادي (Thamugadi)، ولامبيز (Lambèse)، التي كانت تحت حماية الفيلق الثالث أوغوستا وتقدموا حتى وصلوا إلى بضع فراسخ من مدينة قسنطينة.(GSELL, 1903, p 130)

يُعد غزو جنسيريك Genserico لشمال أفريقيا تحولًا جذريًا، حيث لم يكن مجرد احتلال عابر، بل فرض سيادة حقيقية غيرت المشهد السياسي والجغرافي للمنطقة. أصبح الوندال قوة احتلالية، وحوّل ملكهم فعليًا الأراضي التي سيطروا عليها إلى ممتلكات شخصية له ولشعبه. على سبيل المثال، انتقلت أراضي بيزاسينا Bizacena ، وأباريتانيا Abaritana ، وجيتوليا Getulia، وأجزاء من نوميديا Numidia ، إلى الملكية الوندالية المباشرة، بينما وُزعت أراضي القنصل الروماني السابق على الجنود الوندال. (Merighi, 1940, p292)

من الأهمية بمكان عدم الاغترار بمعاهدة السلام التي وُقعت في هيبو Ippona أو هيبوريجيوس - في الجزائر وهي مسقط رأس القديس أوغسطينوس وكانت تحت حكمه- عام 435م بين ممثلي الإمبراطور فالنتينيان Valentiniano والوندال، وعلى الرغم من أن المعاهدة نصت على اعتراف الوندال بسيادة الإمبراطورية الرومانية شكليًا، فإن هذا الاعتراف كان اسميًا لا يعكس الواقع على الأرض. فعلى الرغم من احتفاظ أفريقيا ببعض التشريعات الرومانية، والتقسيمات الإدارية، حتى القضاء، فإن هذه الأمور فقدت قيمتها أمام السيادة الفعلية للملك الوندالي، الذي أثقل كاهل رعاياه بالضرائب والاضطهاد.(Merighi, 1940, p293) (Victor ,1878,p.4)

عبر الوندال عن سيادتهم المطلقة من خلال ممارسات ملموسة. فقد نقشوا صور ملوكهم على عملاتهم المعدنية، وهو تقليد كان حكرًا على الأباطرة، كما احتسبوا الزمن وفقًا لسنوات حكم ملوكهم بدلاً من التقويم الإمبراطوري الروماني. علاوة على ذلك، أشاروا إلى المقاطعات التي حكموها بأنها «التي منحها الله لهم»، مؤكدين بذلك شرعية حكمهم الإلهية والمستقلة عن أي سلطة بشرية أخرى. وقد تجلى رفضهم لأي تبعية خارجية بوضوح في رد الملك جيليمير على الإمبراطور جستنيان الذي ادعى حق إصدار الأوامر له. فكان رد غيليمير حاسمًا: «إن الأمير الحكيم هو الذي يكرس نفسه بالكامل لإدارة مملكته، ولا يتطلع إلى الخارج ولا يحاول التدخل في شؤون الدول الأخرى.» (GSELL, 1903, p 126) هذا التصريح لم يكن مجرد رفض لأمر التبعية للرومان، بل كان إعلانًا صريحًا عن استقلال مملكة الوندال وسيادتها التامة.

لم يكن هذا الاستعباد الاقتصادي هو الشر الوحيد الذي حل بشمال أفريقيا الرومانية السابقة. بل سرعان ما انخرط الوندال في صراع لا هوادة فيه ضد كل ما هو روماني وأرثوذكسي. كان برنامج جنسيريك يحمل في طياته صراعًا دينيًا ضمنيًا ونية ثابتة لتحويل الرعايا الجدد إلى الآريوسية، وهي مذهب مسيحي يختلف عن الأرثوذكسية التي كانت سائدة في الإمبراطورية الرومانية. من أولى أعماله العدائية العلنية كان نفي الأساقفة الذين رفضوا التحول مع مجتمعاتهم إلى البدعة الآريوسية. كما قام بسلب أماكن العبادة من المسيحيين الأرثوذكس، ووصل به الأمر إلى حد حرمان غير الآريوسيين من حق التجمع والعبادة، مما عكس سياسة اضطهاد ديني ممنهجة. (Merighi, 1940, p292)

2-سياسة الوندال القمعية: اضطهاد الأرستقراطية والكنيسة الكاثوليكية

في ظل الحكم الوندالي في شمال أفريقيا، عوملت الطبقة الأرستقراطية الرومانية والكنيسة الكاثوليكية أعداءَ مباشرين:

استهداف الأرستقراطية الرومانية:

شعر النبلاء الرومان بالإهانة والذل من غطرسة الحكام الجدد، بعد أن كانوا في صدارة الدولة والمجتمع. وصودرت ممتلكاتهم ومُنحت للوندال؛ هذا أدى إلى هروب بعضهم بينما تحول آخرون إلى مجرد مستوطنين في أراضيهم

السابقة. وفي مناطق أخرى استولى الملوك الوندال على عدد من الممتلكات الخاصة أو حولوها إلى إقطاعيات ملكية؛ مما قضى على نفوذ الأرستقراطية الرومانية. (GSELL, 1903, p 128)

كان كبار ملاك الأراضي هم الأكثر تضررًا من الوندال. فقد أدى استيطان الجيش الوندالي في المقاطعة البروقنصلية، وبناء البلاط الملكي في بيزاسينا ونوميديا، إلى استيلاء الوندال على الأراضي. وبما أن الأراضي التي يملكها الوندال كانت معفاة من الضرائب، فقد تعرض ملاك الأراضي من أصل روماني أفريقي الذين احتفظوا بأراضيهم لضرائب باهظة (Zolotukhina, 2019, P201)

ومما يدل على تردي أوضاع المعيشية لسكان الشمال الإفريقي عامة والمقاطعات القريبة من قرطاج المجاعة التي ضربت المناطق الخاضعة للحكم الوندالي، وعلى الرغم من أن المجاعة كانت بسبب القحط والجفاف الذي ضرب المنطقة، فإن الوندال تحملوا جزءاً من مسؤولياتهم بسبب سوء تسيير القطاع الزراعي، وحرمان السكان الأصليين من الأراضي الخصبة ومنحها للوندال، الذين استهدفوا بدورهم الوسائل الزراعية الرومانية، وترتب عن المجاعة وسوء التسيير انتشار الأمراض والأوبئة على نطاق واسع. (حسام،2025م،ص35) وكانت رواية فيكتور أوفى الروايات حول هذا الجفاف:» انتشار جفاف ضار استمر طوال فصل الصيف سنة ٤٨٤م، هدد إفريقيا بكاملها، وأحدث مجاعة شرسة استمرت حتى اقتراب فصل الشتاء، وانقطع المطر تماما، فتحولت الأرض الخضراء إلى ارض صحراوية صفراء، وأصبحت أشجار الكروم يابسة في مواضعها؛ أما أشجار الزيتون، فقد تحمصت بفعل الحرارة الشديدة، ومياه الجداول والينابع نضبت، ونفقت جموع غفيرة من الحيوانات، والرياح الشديدة الحرارة أحرقت كل ما صادفها، وتفشى الطاعون الذي أتى على ضحايا لا حصر لهم « (إسكندر،2007، ص176).

اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية:

كره رجال الدين الكاثوليك الوندال الجرمان، الذين كانوا يعتنقون المذهب الآريوسي ويحتفلون بالطقوس الدينية باللغة القوطية. كانت الكنيسة الكاثوليكية تنظر إلى البابا وإلى إمبراطور القسطنطينية مرجعين؛ مما أثار شكوك الوندال حول ولائهم. (GSELL, 1903, p 128)

برزت سياسة الوندال الاستبدادية جلياً بعد وفاة الملك جنسيريك، خاصة في عهد ابنه هونوريك Huneric(484-477م) حيث انتهج سياسة شديدة التعصب والتشدد الديني لكل ما هو يعارض المذهب الأريوسي، سواء كانوا كاثوليك أو دوناتيين، وحتى البربر لم يسلموا اضطهاده المنهج ضدهم. (Saumagne, 1913, P77) (حسام،2025م،ص35) .(وريث،2024م،ص127-128) (Evagrius, 1846, p203)

الاضطهاد العام عام 484 م:

تصاعد الاضطهاد بشكل كبير في عام 484 م، حيث أمر الملك هونوريك بشن حملة اضطهاد عامة، أغلقت المباني الدينية الكاثوليكية أو سلمت للعبادة الآريوسية، و مُنحت الممتلكات الكنسية لرجال الدين الوندال،

رُحّل معظم الأساقفة إلى القبائل الموريّة أو نُفوا إلى كورسيكا، (GSELL, 1903, p 129) (Saumagne, 1913, P78-79) (Procopius, 1916, p73,75). فدعا إلى مجمع ديني في قرطاج حضره 409أسقفاً، وطبق هونوريك على المسيحيين الأرثوذكس القوانين الصارمة التي كان الأباطرة الرومان قد طبقوها ضد الدوناتيين، فهلك حوالي تسعين أسقفاً خلال سنتين.(قداش، 1993م، ص241-240).

واجهت هذه الأوامر مقاومة شديدة في بعض الأماكن، أبرزها مدينة تيبازا Tipasa ، رفض جميع السكان الاعتراف بالأسقف الآريوسي الذي حاول الوندال فرضه عليهم، وأبحروا جماعيًا متجهين إلى إسبانيا بدلا من الخضوع، واضطر الكاثوليك في أفريقيا للانتظار ما يقرب من اثني عشر عامًا قبل أن يُسمح لهم بالعودة إلى كنائسهم؛ مما يؤكد عمق الاضطهاد الوندالي وقسوته. (GSELL, 1903, p 129-130)

تدهورت الظروف السياسية بشكل كبير بالنسبة للوندال ، حيث انقطعت الهدنة بين قبائل المور وبينهم، عندما ثاروا في منطقة الأوراس عام 484م، وخرجوا من تحت سلطتهم. (Modéran, 2003, P729)

بعد وفاة هونوريك عام 494م شهدت الكنيسة الكاثوليكية فترة قصيرة من الانفراج تحت حكم غونثامون Gunthamund(496-484م) الذي سمح بإعادة فتح كنيسة واحدة للأسقف يوجين، ثم سرعان ما أعيد فتح كنائس أخرى لأساقفتها بحلول عام 497م. يُعتقد أن استرداد العقارات الكنسية كان كاملاً في هذه الفترة الوجيزة (Procopius, 1916, p75,77) (Saumagne, 1913, P79) (حسام،2025م،ص35)

غير أن هذا التخفيف لم يدم طويلًا، فقد أغلق خليفته تراسامون Trasamund(523-496م) الكنائس الكاثوليكية مجددًا، ونفى 120أسقفًا، بقيت هذه الكنائس مهجورة وغير مخصصة للعبادة، باستثناء بناء تراسامون لكنيسة جديدة مخصصة للعبادة الآريوسية على نفقته الخاصة، هذا يشير إلى أن العقارات لم تُصادر بشكل دائم، بل أُغلقت وأُخرجت من الخدمة، في انتظار ظروف مختلفة لإعادة فتحها. (Saumagne, 1913, P79) (Coombs,2012,P49)

شهد عهد الملك الوندالي تراسامون مواجهة بارزة بين السلطة الآريوسية والكنيسة الكاثوليكية، تجسدت في استدعائه للزعيم الكاثوليكي فولجينتيوس أسقف روسبا Ruspe إلى قرطاج، يُعتقد أن ثراسامون لكونه مثقفًا، دعاه لاهتمامه بالجدل اللاهوتي بعد عدم رضاه عن إجابات الكاثوليك الآخرين، كشفت هذه المواجهة الموثقة في سيرة فولجينتيوس وأعماله، عن بلاغته وقدرته على ملء فراغ القيادة الكاثوليكية، مع إبراز أساليبه في الدفاع عن المذهب الكاثوليك، يُرجح أن دوافع ثراسامون لم تكن لاهوتية فحسب، بل سياسية جزئيًا، متأثرة بضغوط خارجية مشابهة لتلك التي دفعت الإمبراطور البيزنطي زينو للتأثير على سلفه غونثامون في استدعاء أسقف قرطاج المنفي عام 487م؛ مما يؤكد أن سياسات الوندال الدينية كانت جزءًا من التحولات السياسية الكبرى في حوض البحر المتوسط آنذاك. (Parsons,1994,P323-325)

ففي عام 484، نفي فولجنسيوس الأسقف الكاثوليكي إلى سردينيا، محاولاً بذلك إسكات الأسئلة اللاهوتية المثيرة للجدل التي أثارها بعض رجال الدين في قرطاج. وفقاً لسيرته الذاتية، كتب فولجنسيوس رداً لاهوتياً مطولاً، ثم أتبعها بكتاب آخر بعنوان «ضد ثراسامونـد»؛ مما أثار موجة جديدة من الاعتراضات. (Pottier,2025, P69)

حاول ثراسامونـد الاحتفاظ بفولجينتيوس في قرطاج لفترة أطول، لكن المضايقات المستمرة من الأساقفة الآريوسيين (الذين كانوا يعتبرون أنفسهم الأرثوذكس) دفعت الملك في النهاية إلى إعادته إلى سردينيا بعد عامين من النقاشات العقيمة. تُقدم هذه السيرة صورة إيجابية نسبيًا عن رجال الدين الكاثوليك، حيث وصفتهم بأنهم أكثر تعقلًا من خصومهم الآريوسيين. (Pottier,2025, P69)

اتبع ثراسامونـد سياسة دينية مغايرة لأسلافه، حيث سعى لإجبار الكاثوليك على تغيير معتقداتهم، لكن ليس بالتعذيب الجسدي، بدلاً من ذلك حاول كسبهم بالتشريفات والمناصب وتقديم مبالغ طائلة لهم، أما الرافضون للتحول فقد تجاهلهم، وأطلق سراح المجرمين بشرط اعتناقهم الآريوسية، ورغم أن هذه السياسة المتسامحة ربما عرفت في بداية عهده، فإن سيرة فولجينتيوس أسقف روسبا تذكر أن ثراسامونـد عاد لاحقًا، وبحلول وقت استدعاء فولجينتيوس إلى استخدام الإرهاب والرشوة لإجبار الكاثوليك على اعتناق المذهب الأريوسي. (Parsons,1994,P325) (Pottier,2025, P73)

المبحث الثالث ثورة الجمالة

1- تداعيات السيطرة الوندالية على طرابلس: ضعف دفاعي، وتصاعد التمردات المحلية:

شهدت الفترة الوندالية، خاصة بعد وفاة جنسريك، ظهور كيانات سياسية موريّة مستقلة في شمال إفريقيا. تمثلت هذه الكيانات في إمارات وممالك صغيرة مثل الإمارة الصحراوية الطرابلسية، إمارة المزاق، وممالك الأوراس وموريتانيا، تُعد الإمارة الطرابلسية هي الأبرز في سياق دراستنا، وقد تشكلت بشكل أساسي من قبيلتي لواتة وهوارة الشهيرتين. كانت هاتان القبيلتان مصدر قلق دائم للوندال وتسببت تحركاتهما المتزايدة في زعزعة استقرار حكمهم، ورغم طبيعتها الرحالة، تمركزت هذه القبائل خلال الفترة الوندالية في المناطق الطرابلسية وما حولها. (Modéran, 2003,P751-752) (الصالح،2010م، ص77،78،79)

تحول ولاء النخب المحلية المسيطرة في المناطق الزراعية تدريجيًا عن الإمبراطورية الرومانية وبدأت هذه النخب تميل نحو التحالفات القبلية الجديدة لقبائل لواتة في الداخل. هذا التحول لم يمثل مجرد تغيير في الولاءات السياسية، بل كان إعادة تنظيم ودمج لسكان الواحات وشبه الرحل والمستقرين ضمن نظام سياسي جديد. (Merrills,2004, P6)

تُشير الأحداث بوضوح إلى أن القبائل المحلية، التي لم تكن لتُطيق نير الاضطهاد الروماني سابقًا، لم تكن لتقبل بسهولة الظلم والقمع الذي مارسه الوندال. لقد أدركت هذه القبائل ، ضعف قدرة الوندال على

فرض سيطرتهم على الأراضي المحتلة. هذا الإدراك لم يوقظ فيهم الجرأة فحسب، بل أشعل طموحهم في استعادة حريتهم(Merighi, 1940, p294-295)

يُشير تحليل تدهور الحكم الوندالي إلى خطأ إستراتيجي فادح ارتكبه ملوكهم: الفشل في توسيع سيطرتهم لتأمين النقاط الاستراتيجية جنوبًا، هذه المناطق كانت موطنًا لقبائل محلية ثائرة لطالما حاولت على مدار قرون من الحكم الروماني، ترسيخ نفوذها في المناطق الساحلية. (Merighi, 1940, p295) (Mattingly, 1983,P.98).

لم يمتلك الوندال كونهم شعبا غازيا التنظيم القوي أو الخبرة الإدارية اللازمة لضمان استمرار سيطرتهم على الأراضي الشاسعة التي فتحوها، فبالمقارنة ببلادهم الأصلية بدت لهم الأراضي الأفريقية الجديدة غنية وخصبة بشكل استثنائي، هذا المناخ الدافئ والحياة المريحة التي انغمسوا فيها بحماس سرعان ما أدت إلى استرخاء أرواحهم وتبديد فضيلة المحارب التقليدية، تحولت روح القتال إلى خمول وهجر، وهو ما قادهم في نهاية المطاف إلى دمارهم الكامل، من ثَمّ مهد الطريق أمام البيزنطيين لاستعادة عاصمتهم قرطاج وشمال أفريقيا. (Merighi, 1940, p295) (GSELL, 1903, p 131)

2- دور الجمال (الإبل) في حروب قبيلة الواتة ضد الوندال:

لطالما ارتبطت الإبل بالصحراء، وقد أدت دورًا حاسمًا في الصراعات التاريخية بشمال أفريقيا، الأدلة الأثرية تؤكد وجود الإبل في المنطقة منذ أواخر الألفية الأولى قبل الميلاد، ويبدو أن الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس الذي أدرك أهمية الجمل «سفينة الصحراء» للاقتصاد المحلي، كان له دور كبير في تربية الجمال وانتشارها في شمال أفريقيا. فكانت الجمال ضرورية لاقتصاد منطقة طرابلس، التي كانت تعتمد بشكل كبير على قوافل الصحراء على أنهاحلقة وصل تجارية حيوية بينها وبين غدامس وجرما وأواسط أفريقيا.حيث تحولت تدريجيًا إلى أداة حرب إستراتيجية فعالة، استخدمتها القبائل المحلية لمواجهة القوى الإمبراطورية كالرومان.بلغت تربية الجمال شأوًا بعيدًا في منطقة طرابلس عند استيلاء الوندال على الشمال الإفريقي. (Mattingly, 1983,p104) (البرغوثي، 1971م، ص331-332)

رغم أن صعود قبائل (الواتة (Lawata)أو اللاغواتان Laguatan) لم يقتصر على امتلاك الإبل، فإن هذا الحيوان لعب دورًا تكتيكيًا حاسمًا في مواجهتهم للوندال. خلافًا للفرضيات الشائعة بأن الإبل كانت وسيلة رئيسة للهجرة أو الهجوم في هذه الفترة، تظهر المصادر أن استخدامها في الحرب كان بشكل أساسي كونه حاجزا دفاعيا بدائيا. (Mattingly, 1983,p104).

لقد أثبتت الإبل فعاليتها البارزة في المعركة ضد الوندال، حيث استُخدمت في تشكيلات دفاعية حول معسكرات الواتة (كما وصفها بروكوبيوس). هذه التشكيلات، التي تضمنت أيضًا حيوانات أخرى كالماشية، شكلت عوائق معقدة أمام هجمات فرسان الوندال المباشرة. كانت خيول الوندال تنزعج من رؤية الجمال وتفقد قدرتها على

التقدم؛ مما شلّ القوة الضاربة الرئيسة للوندال. هذا التكتيك سمح للمقاتلين بإمطار العدو بالرماح من مواقع محمية، مستنزفين بذلك قوات الوندال بفعالية. (Mattingly, 1983,p104)

لذا لا يمكن اختزال صعود الواتة في عامل واحد، فإن الاستخدام المبتكر للإبل درعًا دفاعيا فعالا كان له أهمية كبرى في تحقيق انتصاراتهم الحاسمة على الوندال، خاصةً في معارك مثل تلك التي قادها كاباون. (Mattingly, 1983,p104)

المبحث الرابع: إستراتيجية كاباون وفن قيادة الصراع ضد الوندال

1- الحرب النفسية والدينية ما قبل المعركة:

يُقدم المؤرخ بروكوبيوس تفاصيل دقيقة حول الإستراتيجية المبتكرة التي اتبعها كاباون حاكم القبائل المحلية في طرابلس، في صراعه ضد الوندال، تبرز هذه الإستراتيجية كنموذج فريد لتوظيف الحرب النفسية والعامل الدينية في سياق الصراعات العسكرية للعصور الوسطى:

الانضباط المعنوي والجسدي: فرض كاباون نظامًا صارمًا على قواته، يأمرهم فيه بالامتناع عن المظالم والتَرَف، ويشدد بشكل خاص على تجنب الاختلاط بالنساء. خصص خيمتين منفصلتين للذكور والإناث، وهدد بالموت كل من يخالف ذلك. هدف هذا الإجراء إلى تعزيز الانضباط الروحي والجسدي لجنوده، معتقدًا أن ذلك سيعزز مقاومتهم في المعركة. (Procopius, 1916,p79) .(Courtois, 1955, P350)

التجسس المتقاطع والتوظيف الديني: أرسل كاباون جواسيس متنكرين إلى قرطاج لمراقبة تحركات الوندال. كانت مهمتهم الأساسية تتمحور حول رصد أي انتهاكات يرتكبها الوندال بحق المعابد المسيحية أثناء مسيرتهم. فور مرور القوات الوندالية، كان على هؤلاء الجواسيس تطهير المقدسات فورًا، وإعادة ترتيبها، وإشعال المصابيح، وإظهار أقصى درجات الاحترام للكهنة والمسيحيين المحليين. (Procopius, 1916,p81) .(Courtois, 1955, P350)

التكتيكات الدينية والاجتماعية: كان كاباون، رغم جهله بالمذهب الكاثوليك، يدرك أهمية الجانب الديني في حربه ضد الوندال، حيث إن الإهانة المتكررة للمقدسات المسيحية من قبل الوندال، مقابل إظهار أتباع كاباون للاحترام والتبجيل، هذا التكتيك لم يكن يهدف فقط إلى التأثير على معنويات الوندال، بل أيضًا إلى كسب دعم السكان المسيحيين المحليين إلى جانبه، مستفيداً من استيائهم من الانتهاكات الوندالية. (Procopius, 1916,p81) (Parsons,1994,P328)

ويعلل كاباون ما قام به إلى محاولته الحصول على دعم هؤلاء وآلهتهم فيقول :» إنه كان يجهل الإله الذي يعبده هؤلاء ولكن من المحتمل أنه إذا كان قوياً، كما قيل فسوف ينتقم من أولئك الذين أهانوه ويدافع عن أولئك الذين يكرمونه»(Haynes, 1981, p.62) ، أن كاباون كان ينتقم من الوندال الآريوسيين؛ مما جعل منه المدافع عن الكاثوليكية. (Pottier,2025, P73)

نفذ الجواسيس مهمتهم بدقة على طول طريق تقدم الوندال، لضمان استمرار التأثير النفسي. وقبل المواجهة العسكرية، عاد الجواسيس لإبلاغ كاباون بجميع التفاصيل؛ مما هيأ الأجواء للمعركة الفاصلة التي ستحدد مصير الأهالي في تلك الفترة. (Procopius, 1916,p81)

2- تكتيك كاباون الميداني(خطة استراتيجية في مواجهة الوندال):

يُقدم المؤرخ البيزنطي بروكوبيوس وصفاً تفصيلياً لمعركة حاسمة تُبرز عبقرية القائد كاباون في مواجهة القوة العسكرية الوندالية، وذلك من خلال تطبيق تكتيك دفاعي غير تقليدي أفضى إلى هزيمة ساحقة لجيش تراسامونـد، لم تكن هذه المعركة مجرد اشتباك عسكري عادي، بل كانت درساً في الاستفادة من نقاط الضعف الجوهرية للعدو ونقاط القوة الكامنة في القوات المحلية:

الاستعداد الميداني والتشكيل الدفاعي الدائري : فور علمه بتقدم جيش الوندال، قام كاباون باختيار سهل مناسب للمعركة، حيث أمر بتشكيل حماية دائرية محكمة لمخيمه. هذه الدائرة لم تُبْنَ من تحصينات تقليدية، بل اعتمدت على استخدام الجمال حصونًا متحركة. وُضعت الجمال بشكل مائل على جوانب الدائرة، مشكلة حائطاً دفاعياً قوياً. كانت الجبهة المواجهة للعدو تتميز بعمق ملحوظ، حيث وُضعت الجمال في صفوف متتالية يصل عمقها إلى حوالي اثني عشر جملاً؛ مما خلق حاجزاً صلباً يصعب اختراقه بالهجمات التقليدية. هذا التشكيل، الذي يُعرف أحياناً بـ (Camel Lehr) في بعض المصادر التاريخية، لم يكن مجرد سد مادي، بل كان سلاحاً نفسياً فعالاً. (Procopius, 1916,p81)

تأمين العناصر غير القتالية وتموضع المقاتلين : ضمن هذا التشكيل الدائري المحصّن بالجمال، قام كاباون بوضع الأطفال والنساء والأمتعة وجميع الأفراد غير القادرين على القتال في الوسط. هذا الترتيب الإستراتيجي لم يضمن سلامتهم فحسب، بل أتاح للمقاتلين التركيز الكامل على المعركة دون القلق بشأن حماية ذويهم؛ مما عزز معنوياتهم وفعاليتهم القتالية (Procopius, 1916,p81)

ووقف المقاتلون أنفسهم بين أقدام الجمال المتراصة، مغطين أجسادهم بدروعهم. هذا الموقع الدفاعي الفريد وفر لهم حماية ممتازة من السهام والرماح الوندالية، وفي الوقت نفسه أتاح لهم إطلاق الرماح من موقع آمن ومستقر؛ مما زاد من دقة وفعالية هجماتهم(Procopius, 1916,p81) (Zolotukhina, 2019, P202)

ضعف القوات الوندالية صدمة الجمال للخيول: كان الوندال قوة عسكرية تعتمد بشكل شبه كامل على الفرسان، مستخدمين الرماح القصيرة والسيوف في الاشتباك المباشر. لم يكونوا ماهرين في حرب المشاة، ولم يمتلكوا وحدات قوية من الرماة أو رماة السهام القادرين على القتال بفعالية من مسافة(Procopius, 1916,p83)

كانت رؤية الجمال غير مألوفة لخيول الوندال، مما تسبب في اضطرابها ورفضها التام للتقدم نحو خطوط الثائرين. هذا العامل النفسي البيئي شل القدرة الهجومية الرئيسية للوندال، وجعل سلاحهم الأقوى عديم الفائدة.

لم يتمكن فرسان الوندال من الاقتراب بما يكفي للاشتباك بفعالية بالرماح والسيوف. (Procopius, 1916, 83)

تكتيك الاستنزاف والهزيمة الحاسمة، رمي الرماح من مسافة آمنة: استغل المقاتلون موقعهم المحمي، فأمطَروا صفوف الوندال بوابل كثيف من الرماح. هذا الهجوم المستمر من مسافة آمنة أدى إلى سقوط أعداد هائلة من خيول الوندال ورجالهم دون أن يتمكن الوندال من الرد بفعالية. (Procopius, 1916,p83) وكان كل محارب يحمل رمحين قصيرين، كانوا يدخلون المعركة مرتدين سترات خفيفة وقطعة قماش ملفوفة حول رؤوسهم (Zolotukhina, 2019, P202).

أمام هذا الاستنزاف المستمر والشلل التكتيكي، بدأ الجيش الوندالي في الانهيار والفرار بشكل فوضوي،عندما خرج الثائرون لمطاردة الفارين، تحولت الهزيمة إلى مذبحة. دُمر معظم الجيش الوندالي، وسقط البقية في الأسر، وعاد عدد ضئيل للغاية من الجنود الناجين إلى ديارهم. كانت هذه المعركة هي السبب المباشر لسقوط تراسامونـد، ولقد أظهرت مرونة وقدرة المقاتلين على التكيف والابتكار في التكتيكات الحربية ضد قوة تقليدية ذات بنية عسكرية صلبة(Procopius, 1916,p83)

خاتمة البحث

لقد كشف هذا البحث عن قصة صعود الوندال وسقوطهم في شمال أفريقيا، وهي قصة لا تُعد مجرد فصل في تاريخ الهجرات الجرمانية، بل هي شهادة على الصراعات بين الغزاة والسكان الأصليين. بدأ الوندال رحلتهم مدفوعين بالمجاعة وضغط قبائل أخرى عليهم، وانتهى بهم المطاف بتأسيس مملكة قوية في منطقة كانت تُعد «زينة الأرض كلها» بالنسبة للإمبراطورية الرومانية، ومع ذلك فإن سياساتهم القمعية، سواء في الجانب الاقتصادي أو الديني، وحرصهم على فرض مذهبهم الآريوسي، زرع بذور المقاومة في نفوس السكان المحليين والأرستقراطية والكنيسة الكاثوليكية.

لم يكن سقوط الوندال مجرد نتيجة لضعف داخلي، بل كان ثمرة مقاومة شرسة وذكية من قبل القبائل المحلية، وتحديدًا في طرابلس، حيث جسدت «ثورة الجمالة» بقيادة كاباون نموذجًا فريدًا للقدرة على التكيف والابتكار في مواجهة قوة عسكرية متفوقة، أثبتت هذه الثورة أن الإرادة الشعبية والتكتيكات غير التقليدية يمكن أن تُغير مسار التاريخ، إن التجربة الوندالية في شمال أفريقيا تُقدم درسًا تاريخيًا مهمًا حول تداعيات الاحتلال الذي يتجاهل خصائص السكان الأصليين وثقافتهم ومعتقداتهم، وكيف يمكن للمقاومة المحلية أن تُشكل نقطة تحول حاسمة في تاريخ الإمبراطوريات.

نتائج البحث

خلص هذا البحث إلى عدة نتائج رئيسة تُسلط الضوء على الأبعاد المختلفة لسيطرة الوندال في شمال أفريقيا ومقاومة طرابلس لحكمهم:

-في البداية، أظهرت سياسات جنسيريك الحكيمة، مثل المعاهدة مع فالنتينيان الثالث، بُعد نظر في ترسيخ حكمه. ومع ذلك، أدت سياساته لاحقًا تجاه المدن الثلاث (لبدة، صبراته، أويا) وإهماله لتحصيناتها إلى ضعف دفاعي استغلته القبائل المحلية. كما كان للسياسة الاقتصادية الوندالية القائمة على مصادرة الأراضي وفرض الضرائب الباهظة، بالإضافة إلى سوء إدارة القطاع الزراعي، أثرٌ مدمر على السكان الأصليين؛ مما تسبب في المجاعة والأوبئة. وشكّل الاضطهاد الديني الممنهج ضد الكاثوليك والأرثوذكس، خاصة في عهدي هونوريك وتراسامونـد، نقطة احتكاك رئيسة وأحد الأسباب الجوهرية لعدم استقرار حكم الوندال.

-أما بالنسبة لضعف الحكم الوندالي وظهور الكيانات المورية، فقد أدى ضعف التنظيم العسكري للوندال واسترخائهم بعد سنوات من الاستقرار إلى تقويض قدرتهم على السيطرة على المناطق الشاسعة؛ مما سمح بظهور كيانات موريّة مستقلة، مثل الإمارة الطرابلسية بقيادة قبيلتي لواتة وهوارة. وقد فُشل الوندال في تأمين النقاط الاستراتيجية جنوبًا، مما ترك المناطق البربرية موطنًا للتمردات المستمرة.

-فيما يتعلق بثورة الجمالة كونها نموذجًا للمقاومة، مثّلت هذه الثورة بقيادة كاباون مثالًا بارزًا على قدرة القبائل المحلية على مقاومة الاحتلال، مستغلة نقاط ضعف الوندال. وكان لتوظيف الإبل حاجزا دفاعيًا فعالا في المعارك ضد فرسان الوندال تأثير حاسم في شل قدرتهم الهجومية. كما أظهرت إستراتيجية كاباون في الحرب النفسية والدينية (مثل تطهير المعابد المسيحية وكسب ولاء السكان المحليين) بُعد نظر إستراتيجي في إدارة الصراع بما يتجاوز المواجهة العسكرية المباشرة.

-أخيرًا، كان تأثير المقاومة على سقوط الوندال واضحًا، حيث كانت هزيمة تراسامونـد على يد قوات كاباون مؤشرًا على تدهور قوة الوندال وساهمت بشكل مباشر في نهاية حكمهم في شمال أفريقيا، ممهدة الطريق للتدخل البيزنطي لاحقًا.

المصادروالمراجع

المراجع العربية والمعربة:

-البرغوثي، عبداللطيف محمود(1971م)، التاريخ الليبي القديم(من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي).

- قداش، محفوظ (1993م)، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

الرسائل العلمية:

-الصالح، العود محمد، التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 534-429م ، رسالة ماجستير غير

-منشورة، كلية الآداب، جامعة منتوري، قسنطينة- الجزائر، 2010-2009م.

المقالات العلمية:

- إسكندر، فايز نجيب(2007)، الشمال الإفريقي في عهد الوندال في مصنف المؤرخ المعاصر فيكتور فيتنسس(-429 484م)، حولية التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الخامس.

- حسام، صلاحي(2025)، ثورة الأوراس ضد الاحتلال الوندالي(484-447م(قراءة في الأسباب، المجريات والنتائج، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد السابع، العدد الأول.

- الخطيب، آمال بنت حسن.(2013م) غزو الوندال روما عام 455م، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، العدد الثامن.

- طرخان، ابراهيم علي.(1963)، شمال أفريقيا والوندال، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الحادي عشر.

- عماد، طويل.(2018)، الوندال من شمال أوروبا إلى شمال إفريقيا، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد15.

- وريث، أسامة عبدالحميد.(2024)، المدائن الطرابلسية الثلاث، وتحولاتها خلال العصر الوسيط 9-5م/3هـ(دراسة مقارنة بالفترتين المسيحية والإسلامية)، مجلة الساتل، السنة الثامنة عشرة، العدد38.

المصادروالمراجع الأجنبية:

-Coombs, Richard John. (2012), The Decline in the North African Church with reference to the state of the Church from 100 AD to 640 AD, A Thesis Submitted For The Degree Of Master Of Theology At The South African Theological Seminary. in January .

- Courtois, Christian.(1955) Les Vandales et L Afrique, Paris, Arts et Métiers .

- Evagrius, P. (1846),The Ecclesiastical: History Of the Church, 431-594 A.D, London, Samuel Bagster And Sons.

- Gsell, Stéphane (1903), L'ALGÉRiE DANS L'ANTIQUITÉ, ALGER, TYPOGRAPHIE ADOLPHE JOURDAN.

-Haynes,D.E.L.(1981), Archaeological,guide to the pre-Islamic antiquity Tripolitania, Eredi Dott. G. Bardi, 4th edition.

- Hinds, Katryn,(2010), Barbarians Huns, New York, Marshall Cavendish Corporation.

Jordans, The Gothic History, London, Oxford University Press, 1915.

- Mattingly.D.J.(1983),The Leguatan: A Libyan Tribal Confederation in the Late Roman Emnire,Libyan Studies, 14.

-Merighi, Antoin.(1940), La Tripolitania Antica (Dalle Origini Alla Invasione Degli Arabi, A. Airoldi Ed-

itore ,Volume Primo.

-Merrills, Andy .(2004), Vandals, Romans and Berbers: New Perspectives on Late Antique North Africa, London, Ashgate, 2004

-Modéran, Yves.(2003), Les Maures et l'Afrique romaine (IVe-VII e siècle), Publications de l'École française de Rome.

-Parsons, Jonathan Kendall.(1994) The African Catholic Church under the Vandals, 429-533, Ph.D thesis lings College. University of London.

-Pottier,Bruno.(2025), Fulgence de Ruspe, l'aristocratie romano-africaine et le pouvoir vandale sous les règnes de Gunthamund et de Thrasamund : collaboration ou résistance ?, Chrétiens ariens et nicéens en Afrique vandale (VeVIe siècles) Enjeux religieux, politiques et culturels d'une coexistence difficile Arian and Nicene Christians in Vandal Africa (5th-6th Centuries), Cahiers « Mondes anciens » Histoire et anthropologie des Mondes anciens 19 | 2025.

-Procopius, C.(1916), History of the Wars: The Vandalic War, Book III, London, William Heinemann.

-Saumagne, Ch.(1913), Etüde sur la proprietö ecclösiastique ä Carthage d'aprös les nouvelles 36 et 37 de Justinien, Byzantinische Zeitschrift, Aug. Heisenberg Und Paul Marc,Zweiundzwanzigster Band • Jahrgang.

-Victor , Vitensis(1878), Historia Persecutio Provinciae Africanae, Berolinum, Universitas Catholica Americae.

-Zolotukhina, Natalya E.(2019) Society Of North Africa On The Eve Of The Empire's War With The Vandals And Its Attitude To Justinian's Reconquista, Вестник ВолГУ. Серия 4, История. Регионоведение. Международные.